ISSN: 1999-5601 (Print) 2663-5836 (online)

Lark Journal

Available online at: https://lark.uowasit.edu.iq

*Corresponding author:

Daniyah Basm Khalf Prof. Dr. Hamid Hamza Hamad

University: Wasit University

College: College of Arts

Keywords:

Debate, Freedom, Religion, Homer.

A R T I C L E I N F O

Article history:

Received	31 Aug 2023
Accepted	28 Sep 2023
Available online	1 Oct 2023

The Debate of Freedom and Religion in the Poetry of Homer

A B S T R U C T

It is known that Homer, the poet, incorporated numerous meanings in his poetry that depicted an ancient era in Greece. However, these poems did not have interconnected concepts. Each part represented a social and intellectual aspect of those times. Among the concepts present were freedom and religion, which appeared both in mythological and realistic contexts. Mythology dominated, as it did in Homer's poetry. Nevertheless, a careful examination of these poems can lead to an understanding of these concepts in Homeric poetry through the interpretation of poetic signals and indications. These elements reveal the religion of that era and the nature of freedom in that society.

© 202 3LARK, College of Art, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/

جدل الحرية والدِّين في أشعار هوميروس

دانية باسم خلف عبد الوائلي /جامعة واسط – كلية الآداب

أ.د. حامد حمزة حمد الدليمي/جامعة واسط – كلية الآداب

الخلاصة:

من المعلوم أنَّ هوميروس كان شاعرًا سجّل في اشعاره الكثير من المعاني التي جسدت حقبة زمنية قديمة في اليونان إلا أنّ تلك الاشعار لم تكن ذات مفاهيم مترابطة فكل جزء منها يمثل جانبًا اجتماعيا وفكريًا من تلك العصور ومن بين المفاهيم (الحرية والدين) التي ظهرت بشكل خرافي اسطوري تارة وبشكل واقعي تارة أخرى وقد غلبت الأسطورة عليها كما غلبت على اشعار هوميروس إلا أنّ التمعن بتلك الاشعار يمكن أن يوصل الباحث لمعرفة هذه المفاهيم في الاشعار الهومرية من خلال فهم الاشارات والملامح الشعرية التي تدل على دين تلك الحقبة وعلى طبيعة حرية ذلك المجتمع .

الكلمات المفتاحية: الجدل، الحرية، الدين، هوميروس .

مقدمة:

أختلف المؤرخون حول شخصية هوميروس الشاعر الأغريقي وأثير الجدل على كل جوانب حياته في وجوده، وحقيقته، وأصل أسمه، وتأريخه، بل وحتى بمكان وفاته، فمنهم من يرى أنّه شخصية جسدتها الأساطير اليونانية، وليس له وجود على أرض الواقع، "وإنَّ شعره ما هو إلّا مجموعة أشعار لأدباء اليونان وقد جمعت تلك الأشعار في (الإلياذه – والأوديسة)، ونسبت إلى شخصية وهمية ليس لها واقع حقيقي" (الوالي، 2009: 45)، أو هو مجرد اسم، وأنَّ الألياذة والأوديسة اللّتين تنسبان إليه ليستا سوى مجموعتين من الأشعار الشعبية كانت سائدة في تلك العصر.

ومِن المؤرخين من يرى أنَّ هوميروس شاعر أغريقي، وهو شخصية لها وجود وإنَّ الإلياذة والأوديسة أعمال شعرية ترجع من حيث نتاجها إليه صحيحة النسب، وإنَّ اسمه الحقيقي مليسيجينيس ولقب بهوميروس لأنه كان أعمى، أو لأنّه وقع أسيراً في إحدى الحروب، أو لأنه أهتم بتنظيم، وتنسيق اشعار من سبقوه(خفاجة، 1956: 40). ومنهم من يجد أنَّ اسمه الحقيقي هو (ميونيذس) أي ابن ميون، وميون هذا هو ملك ليديا الذي تزوج من والدة هوميروس (كريثيس) وكان الطفل على يدها وقت الزواج بها فدعاه باسمه وهو ميونيذس، ومنهم من يرى أن اسمه الحقيقي، أو الأقرب إلى الحقيقة هو ميليسا جينيس(هوميروس، 2011: 12).

وتُنسب إليه العديد من الأعمال والقصائد الأدبية، ولكن ما هو ثابت لدى أغلب الكّتاب، (الألياذة – والأوديسة)، وكلا القصيدتين تعدّان من أخصب مصادر المعلومات عن اليونان القديمة، وثقافتها الغربية(بي باول، 2019: 20).

أولاً: حقيقة الأعمال الشعرية المنسوبة إلى هوميروس:

أمّا حقيقة نسبة الاعمال الشعرية إلى هوميروس والشّكوك التي دارت حولها، يرى بعض الباحثين أنّ الأوديسة لم تُنظم في العهد نفسه الذي نظمت فيه الألياذة، بل أنّه يفصل بينهما زمن طويل. لإنّ الأوديسة تتضمن كلمات كثيرة جديدة لا أثر لها في الإلياذة. والكلام في الإلياذة يدور عن البرونز والأوديسة تتحدث عن الحديد. وتذكر الأوديسة الكتابة، والملكية الخاصة والمتحررين من العبودية، وهذه كلها أمور لم ترد في الألياذة، بل إنَّ الالهة، ووظائفها في كل منهما مختلفة. فالإلياذة نفسها ليست من نظم شاعر واحد. وإنّها تختلط فيها اللهجات (الأيولية)، (الأيونيه) التي تختلف في العديد من الأمور(عياد، 1980: 108-109)، ومنهم من

يقول: أنَّ هوميروس كان يستخدم لغة الآخيين ويقال إنّه كان ينشد بأشعاره في بلاط أمرائهم، وإنَّ معظم الآلهة، والأبطال الذين وجه إليهم عبارات التعظيم والتمجيد كانوا من الآخيين(أبو ريان، 2014: 31).

أنَّ أختلاف المضمون واللّهجة في نظم أشعار الألياذة والأوديسة ليس دليل كافي للشك في نسبة هذه الأعمال إلى هوميروس ذلك لأن الشاعر يجد في تعدد المواضيع سبيلا، ودافعا للنظم، وكتابة الأشعار إذ ليس من المعقول أن يعيد الشاعر كتابة أشعاره بمضمون واحد بل أنَّ تعدد المواضيع هو من جماليات النظم الشعري، أما فيما يتعلق بالاختلاف الحاصل باللّهجة، لا يخفى على أحد التداخل اللّهجي في الألسنة إذ لابد من كل لهجة أنَّ تؤثر، وتتأثر باللّهجات التي تعيش معها أو قريبة منها، وهذا التداخل موجود في كلِّ عصر إذ تتاثر العديد من اللّهجات بغيرها جراء التعايش فيما بين متداوليها، وهذا يُبرر استخدام الشاعر للّهجات متعددة التي لربما تأثر بها، أو تداخلت مع لهجته الأساس التي ينطق بها (أبو ريان، 2014: 32).

وما يجمع بين (الألياذة، والأوديسة) هو "أنَّ بطل الأوديسة أوديسيوس هو أحد أبطال الإلياذة العظام، وابنه تليماخوس وزوجته بنيلوبا، وهي امتداد لملحمة الإلياذة، إذ إن وقائعها مرتبطة بها ارتباطًا جليًا، وتبدأ أحداثها من حيث انتهت الإلياذة ذلك لأن أوديسيوس ملك جزيرة إيثاكا كان قد ضل طريقه أثناء عودته إلى موطنه بعد انتهاء الحرب في **طروادة**"(بي باول، 2019: 20).

فالإلياذة التي تُـعد من أشهر ملاحم الشعوب القديمة التي يعود تاريخها إلى منتصف القرن الثاني عشر قبل الميلاد، وهي تعني قصة (إليوم أو إليوس)، وهو اسم طروادة المدينة الأسيوية الواقعة على شاطئ البسفور والتي دمرتها الحروب الكثيرة بسبب المنافسة على التجارة والرغبة في السيطرة على طرق الملاحة البحرية(هوميروس، 2004: 22)، تتكون من خمسة عشر الفاً وخمسمائة وسبعة وثلاثين بيتا قسمها علماء الأسكندرية إلى أربع وعشرين أنشودة (خفاجة، 1956: 44).

والأوديسة هي الملحمة الثانية، وتتكون من اثني عشر ألف بيت، وقسمها النقاد إلى أربع وعشرين أنشودة تنقسم بدورها إلى ثلاثة أجزاء رئيسة: "أولها أعمال تليماخوس، وتتضمن الأناشيد الأربعة الأولى وسميت بأسمه لأنّه يقوم فيها بالدور الأول؛ وثانيها مغامرات أوديسيوس ويشمل الجزء الأخير من الملحمة، ويحدثنا الشاعر عن رجوع أوديسيوس إلى وطنه، وتخلصه من أعدائه الأدعياء الذين أستولوا على قصره وأرادوا أن يرغموا زوجته على الزواج بواحد منهم"(خفاجة، 1956: 49).

فهي تروي ما حدث لأوديسيوس بعد أنتهاء حرب طروادة وذكر المغامرات والمتاعب التي واجهها أوديسيوس فهي قصة يتحدث فيها الشاعر عن ألوان البطولة والقوة والحب ومواجهة الظروف القاسية التي لايصبر عليها سوى الشجعان(هوميروس، 2013: 7-8).

أنّ أهمية أعمال هوميروس يتجسد من خلال أثرها الواضح في الفكر الفلسفي اليوناني كونها سجلت الكثير من الأتجاهات الفكرية والأجتماعية التي كانت سائدة في المجتمع اليوناني القديم فقد نقلت الألياذة أخبار ذلك المجتمع في عهد الأبطال أنه كان في حالة بدائية حتى بدت حياتهم على حد وصف الألياذة فقيرة في الفنون، وبعيدة عن القيم الفكرية(هوميروس، 2013: 10).

وفضلاً عن هذه الأعمال من الناحية الروحية عند اليونان فقد "قيل أنَّ قصائد هوميروس – الألياذة والأوديسة كانتا إنجيل الأغريق"(الطويل، د.ت: 57) حتى ظلتا قرونا طويلة اساسا للتربية والتعليم اليوناني فقد بلغ افتنان اليونانيين بالالياذة أن الرجل العادي منهم يحفظ مطلعها عن ظهر قلب (أبو ريان، 2014: 32).

لقد صورت أشعار هوميروس طابع الحكمة وإعتبار الفرد ممتلكا لأسباب مقاديره بيده موضحة للتناقض الحاصل بين نمطين من حيات الفرد اليوناني الأولى تجعل منه طائعاً للآلهة، أي إنَّه مسلوب الأرادة غير قادر أن يفعل أي شيء بدون الالهة التي لا عقل لها، والصورة الأخرى التي تكون فيها السيطرة للعقل والإدارة الواعية والشخصية المستقلة(أبو ريان، 2014: 34).

ويرى بعض الباحثين أن أهم ما في الأشعار الهومرية من أثر فلسفي هو فكرة القضاء والقدر، وفكرة الضرورة التي سيطرا على الالهة والبشر على حدٍ سواء، كذلك سيطرة فكرة الجبر على اقاصيص هوميروس مع أنَّ الأنسان يستطيع أن يفكر لنفسه وأن يختار طريقه في السلوك والتعبير عن ذاته وأن يصنع حياته بحسب ما يهوى كما فعل (أخيل) حين غضب وترك الجيش تلك الحادثة التي جعلت المؤرخون يرون أن الألياذة صورة الأنسان بطلا من الأبطال، وإنها قللت من دور وشأن الالهة حتى أصبح موقفها أشبه بشخصيات الشعراء وليست أربابا يقدسها البشر ويعبدونها، ويأتمرون بأمرها حتى كان هذا التصور اللآديني للآلهة بداية للحركة العلمية التي نشأت في القرن السادس قبل الميلاد(الأهواني، 1954: 25).

ثانياً: هوميروس مؤسس العقيدة الدينية الإغريقية:

يُعد هوميروس مؤسس الدّيانة اليونانية أو على الأقل جامعها حتى وصلت للشكل الذي عرفت عليه بعد ذلك. فهو أوّل مَن صورها وبيّن معالمها فقد احتوت أناشيده على الافكار الاساسية عن الآلهة الاغريقية ومن هذا الجانب يقول هيرودوتس " لقد خلق هوميروس أصل الهة الإغريق وأنسابها" وذلك لأنّه ذكر للآلهة القاب وامتيازاتها وذكر صفاتهم وخصائصهم(كروزية، 1964: 294).

لقد صورت اشعار هوميروس الآلهة الاغريقية إلى ثلاث طبقات: الآلهة الأولمبية وموطنها الحقيقي في السماء وعلى جبل أوليمبوس، والآلهة الأرضية وهم سكان الأرض، وآلهة البحر وهم في مركز متوسط بين الاثنين(الاثرم، 1996: 93).

تمثل العقيدة الدينية عند اليونانيين مجموعة من الأساطير، والقصص التي صورة الألهة على أنها كائنات موجوده بين البشر لها الكثير مما للأنسان من صفات فهي تأكل وتنام تغضب وتفرح وتحتاج للزواج والتشاور، وما الى ذلك(فرانكفورت، 1980: 276). وإنَّ صور الالهة التي جسدتها الالياذة، والأوديسة بالرغم من كونها اسطورية وبعيدة عن الواقع أثرت على الفكر الأغريقي "وظلت منطبعة في أذهان الأغريق قرونا طويلة. ولم يستطع الإغريق التحرر من تأثير الألياذة والأوديسة ذلك التأثير الذي يظهر في شتى مظاهر الحياة اليونانية في الدين والعادات والأدب والفن وفي كل مظهر تقريبا"(الخطيب، 1999: 28).

لقد كان الدّين عامل وحدة بين المجتمع اليوناني. فقد كان من وراء عبادة آلهة الأولمبس العامة البعيدة، وهي العبادة التي كان فيها قسط كبير من الأدب والمجاملة، عبادة أقوى منها للآلهة وللقوى التي تدين بالطاعة لزيوس. وكانت النزعة الانفصالية القبلية، والسياسية تغذي الشرك وتجعل التوحيد مستحيلًا. فقد كان لكل أسرة في أيام اليونان القديمة إلهًا الخاص، توقد له في البيت النار التي لا تنطفئ أبدًا، وتقرب له القربان من الطعام، والخمر قبل كل وجبة(الدليمي، 2019: 176). وكان هذا الاقتسام المقدس للطعام بين الآدميين، والآلهة أول الأعمال الدينية الأساسية التي تعمل في البيت. وكان المولد والزواج، والموت تُخلع عليها هالة من القداسة بالطقوس القديمة أمام النار المقدسة(ديورانت، 1988: 318).

كذلك كان لكل جماعة أو عشيرة أو قبيلة أو مدينة إلهها الخاص بها فكانت مدينة أثينا تعبد الإلهة أثينا؛ وإلوسيس تعبد ديمترا، وساموس تعبد هيرا، وإفسوس تعبد أرتميز، وبوسيدونيا تعبد بوسيدون. وكان في وسط المدينة وأعلى مكان فيها ضريح الالهة، وكان الاشتراك في عبادة الآلهة رمز مواطنيها وميزتهم والواجب المفروض عليهم. وإذا ما خرجت المدينة للحرب حملت معها في مقدمة جيوشها صورة الآلهة

وشعاره، ولم تكن تخطو خطوة خطيرة إلّا بعد استشارته بسؤاله عما يخبئه الغيب لها. وكان لها عليه في نظير هذا أن يحارب في صفها، وكان يبدو لأهلها أحيانًا أنه قد يتجلى لهم في مقدمة الجيش، أو فوق رماح الجنود. ولم يكن النصر مقصورًا على غلبة مدينة لمدينة بل كان يشمل فوق ذلك غلبة إله لإله. وكانت المدينة، كما كانت الأسرة وكما كانت القبيلة، تحتفظ على الدوام بنار مقدسة موقدة عند مذبح عام في بهو المدينة، ترمز لحياة منشئتها وأبطالها القوية الخالدة؛ وكان مواطنوها يجتمعون في مواسم معينة ليطعموا جميعًا أمام هذه النار(ديورانت، 1988: 318).

وفضلاً عن ذلك فقد اشارات اشعار هوميروس إلا أن الادلة تختلف فيما بينهما حتى وصل الامر أن يقاتل بعضهما الآخر، فقد ورد في الأدوسية أن الكثير من الأدلة التي اشتركت في الحرب ووقفت الإله (اثينا وهيراد وأوديوسيون) إلى جانب اليونان بينما وقفت (أفرودين وابولوا دأريس)، إلى جانب الطواردتين(الاثرم، 1996: 93).

فالآلهة تكره وتحب وتستعطف ويرق قلبها وتحقد بحسب ماترآه كل منها على المعني بذلك الشعور فنجد الآلهة في الأوديسة منها ما يستعطف على أوديسيوس ومنها ما يحقد عليه "ولقد رقت قلوب الآلهة، وودوا لو أدركوا برحمتهم أوديسيوس... إلا نبتيون الجبار، رب البحار، الذي يضمر للبطل في أعماقه كل كراهية وكل بغضاء، والذي آلى أن يصب على رأسه كل تلك الأرزاء".**(هوميروس،** 2013**: 14)**

ويذكر الآلوسي أن الآلهة في الاشعار الهومرية أصبحت شخوصاً إنسانية لا تختلف عن البشر إلا أن فيها سائلا يجري في دمائها يضمن لها الخلود. وما عدا ذلك فهي مثل الناس تتصارع وتحب وتبغض وتكيد بل وتصل فيها شهواتها إلى اتخاذ من شؤونها من النساء والرجال الأنسيين عشاقا وخليلات. والآلهة الأولمبية (الأرضية أي الذي يتخذون الأولمب في اليونان مقراً لهم). تظهر في الألياذة ولا تحفل بفضيلة ولا تلتزم بمبدأ العدل(الآلوسي، 2017: 36).

فالإنسان عند هومر مركب من نفس وجسد، والجسد مكون من ماء وتراب ينحل إليهما بعد الموت، فهو يتألم لذلك ويقضي حياة باهتة تافهة، وليس في هذا العالم الآخر ثواب ولا عقاب إلّا في النادر يوزعها الآلهة بمثل ما يوزعون في الحياة الفانية من عدل معكوس فيحابون أصدقاءهم وينكلون بإعدائهم، والآلهة الهومرية – آلهة أرستقراطية منتصرة. وهي بدلا من أن تكون خالقة للكون فإنها معنية بالسيطرة عليه(الآلوسي، 2017: 35-37).

كل هذه الصور سجلتها الأعمال الهومرية في أشعارها فالآلهة التي تمثل العامل الروحي للمدينة ودينهم الخاص يمكن أن تلهو وتلعب وتعزف "وانبرى أبولو يوقّع على قيثارته الذهبية. أبولو الذي اشترك في بناء أسوار طروادة. لم يكن يصنع شيئا أكثر من أن يلعب بأنامله على أوتار القيثارة"(هوميروس، 2013: 2) ، وأبولو هذا هو الاله الذي جرت عادة القدماء لتقديم القرابين له كلما ولد لأحدهم غلام فقد "جرت عادة القدماء على أنه كلما ولد لأحدهم غلام توجَّه من توّه إلى هيكل أبوللو في دلف يقدِّم القرابين ويزف الهدى، ثم يستوحي الكاهنة عمَّا يكون مستقبل، ولده وما يفيض به من سعادة أو شقاء، ليأخذ للأمر أهبته، وليعد لكل شيء عدته"(هوميروس، 2013: 17).

إنّ ما بينته الأعمال الهومرية من سمات وخصائص الآلهة عند الإغريق، وما نُقل عنها من تجاذب وسمات بشرية، واختلاف فيما بينها وتعدد لمهامها إلّا أنّها بالوقت نفسه كانت تحضى بمستوى ليس بقليل من التقدير والاهتمام والاحترام، الأمر الذي يصل بها لتصديق كل ما يُروى عنها، فنسمع من الخطاب الموجه لباريس "الآلهة لا تكذب ياباريس!" (هوميروس، 2011: 26)، فالآلهة لا تكذب ويجب التأدب حال الوقوف بحضرتها "لا تنسَ يا باريس أنك في حضرة فينوس... وأقولها لك مرة أخرى، إن الآلهة لا تكذب"(هوميروس، 2011: 26) وقد تكون الآلهة جميلة وودودة ويحبها الكثير وبالآلاف إلا أنّها تتسبب بقتل محبيها من دون قصد (القتل البريء) "لقد كان جمالها أسطورة مصوَّرة في السحب... وإن كان محبوها لُحصَونَ بالآلاف... وهي لم تعمد يوما إلى قتل هذه الأرواح المظلومة... ولكن القتل كان يذهب بأرواح محبيها عفوا كلما نظرت هنا، أو هناك... وذلك هو القتل البريء"(هوميروس، 2011: 35-36).

فالدين بالألياذة، والأوديسة مأخوذ من نظرة ذلك المجتمع لما صوروه في أخيلتهم عن مسميات، وأساطير لأشياء خارقة للعادة، وتتجاوز كل حدود إمكانية الأنسان الاعتيادي الأمر الذي يدفع الفرد لمحاولة التقرب والتمسك بهم لحل مشاكلهم وأزماتهم، وليس بالأمر غرابة يُنظر لها بمستوى ذلك التفكير أبدا؛ ذلك لأنَّ الفرد اليوناني كان يراقب الأحداث، ولما يحيط به من متغيرات طبيعية يعجز أي أحد التحكم بها، أو ايقافها، فكان يلاحظ أن هذه القدرات، والتغيرات، والأحداث التي لا يقف بوجهها أحد لا يمكن أن تكون ناشئة عن فراغ، أو دون قوة منتجة لها.

لقد أنتبه الإغريق لقدرة الموت التي تأخذ كل عزيز منهم غصبا دون أن يستطيع أحد إيقافه حتى عجزت كل قواهم للوقوف بوجهه، أو منعه، وعليه أدركوا أنّ للموت قوى خارقة لكل قواهم وإن اجتمعت، وعليه أقروا أن هذه القدرة لها من يحركها ويوجدها لتنفيذ كل ما تريد ورأوا أن يجعلوا سبب وجود الموت هو آلهة الموت، أو آلهة الفناء التي اسموها (ايدونيوس بمعنى الهاوية) ملك الموت، كما وجدوا أن انتقال الشمس

من مكان لآخر لا يمكن أن يحصل من دون مسبب وقوة دفعت الشمس لهذا الانتقال وانتهوا إلى أن المسبب هو آلهة واسموها هيليوس: آلهة الشمس، وكذا الحال لقوة الرياح وتحرك أمواج البحر، وإنبات الأرض بالزرع، والثمرات التي أسموا آلهتها (ديمترا)، إلهة الحبوب والمواد الغذائية. إلى غيرها من المسميات التي تتوقف على أمر محدد ومعالجة فهم قوة معينة.

ثالثاً: ملامح الحرية في أشعار هوميروس :

من خلال حديثنا السابق عن التقاليد الدينية لم نجد أن هوميروس يجسد مفهوم الحرية بصورتها المنشودة، بل ربما هناك تقاطع واضح للحرية مع التقاليد الدينية عند هوميروس ولكننا لم ندرك ذلك، ولكن نظر ملامح التقاطع الإلياذة والأوديسة من خلال تسلسل الاحداث والأفكار، وبمقاصد الأشعار التي سُجلت في هاتين القصيدتين، فهما لم يكونا أعمال دينية، أو فكرية بحتة، بل هما مجموعة من الأشعار، والأخبار القائمة على الأساطير التي صورت معتقدات وطبائع المجتمع اليوناني حيث أنّهما جسدتا حالة الأنسان، وتنقلاته بين العبودية المطلقة للآلهة، وبين التحرر، وإتباع العقل والأنتصار للذات(بدوي، 1984: 458). وسوف نحاول أن نبين مظاهر تلك الأعمال التي توحي لطبيعة تحرر الأنسان، واتباع عقله أو الخضوع للآلهة والالتزام بأوامرها.

ففي العصر الهوميري كان يطلق مفهوم الرجل الحر، على الإنسان الذي يعيش بين شعبه، وعلى أرض وطنه دون أن يخضع لسيطرة أحد عليه، وذلك في مقابل « الأسير أو العبد» الذي يعيش في الغربة تحت سيطرة سيد عليه، ومع ظهور وانتعاش «دولة المدينة» في اليونان، في حدود القرن السابع ق.م، اصبحت الحرية متساويةً لكل من يعيش بداخل المدينة حيث يسود «القانون»، فالمواطن الذي يعيش بداخل مدينته هو الحر، والغريب عن المدينة ليس حرًّا لأنّه غير خاضع لقانون المدينة، وكان الاعتقاد السائد لدى اليونان أن الآلهة اليونانية هي التي وضعت القانون للمدن اليونانية الذي بموجبه يصبح كل مواطن حرا، فصارت الحرية موضع تقديس وعبادة لهم(بدوي، 1984: 460).

وقد أقترنت ملامح الحرية في العصر الهوميري بطبيعة المجتمع السائد في ذلك الوقت والذي غلبت عليه أساليب الحياة القبلية فقد عاش الأغريق في قرى، وكانت كل قرية تتكون من مجموعة من الأسر والبيوت يرتبط بعضها ببعض بأواصر الدم، وكانت القرية يحكمها رئيس هو يكون أكثرهم اتصالا بمؤسس الأسرة، أو القبيلة، فالمجتمع الهومري يتكون من عشيرة، ومن عدة عشائر تكون القبيلة التي يترأسها ملك يدير شؤنها ويسن قوانينها وتعاليمها. أمّا الملك فلا حدود لسلطانه، فهو الملك بالوراثة وعنده تنتهي القرارات

الذي يتلوها على مجلس الشعب المكون من رؤساء القبائل الذي يجتمع بعد أن يطلب منهم الملك(الأثرم، 1996: 79).

فالحرية التي صورتها الأعمال الهومرية، منصبة على الانتماء القبلي، أو الجغرافي، فالشخص حر مادام يعيش في موطنه وبين أبناء قبيلته، فالانتماء مصدر قوة وأمان لليوناني، وليس هناك ما يدل على أنَّ الحرية في العصر الهوميري هي حقوق الفرد التي يجب على الآخرين احترامها وعدم التدخل فيها أو سلبها منه، سواء أكانت حرية الاختيار، أو حرية العيش أو التعبير وما شاكل وعليه فإنّ حرية الفرد بالمجتمع الهوميري هي وجوده بين أبناء وطنه، فإذا خرج عنهم، سُلبت منه الحرية وأصبح فرداً من دون حماية، ومن دون موطن يعيش عليه، ويؤمِّن على مصيره فيه(الأثرم، 1996: 81).

ومن هنا نشأة اللامساواة بين أفراد المجتمع اليوناني فالحقوق لم تكن في الواقع سوى أمتيازات هي من حق طبقة محددة في ذلك المجتمع، وإن مبدأ المساواة والعدالة هو مبدأ غريب وغير معروف في العصر الهوميري(نرسيسيان، د.ت: 14).

أنّ نظام الحكم القبلي واللامساواة في المجتمع هو الذي تنتج عنه الطبقية ما يقلل من نصيب الحرية في المجتمع الذي تحكمه تلك العوامل وهكذا كان حال المجتمع اليوناني في العصر الهوميري حيث لا يقوى أحد على مواجهة التعاليم العرفية وعدم الحيادية بين الافراد، ومن هنا تكون حرية من يكون على قمة الرياسة والسيادة، تختلف عمن كان مامورا أو عبدا أو من الطبقات المسحوقة(نرسيسيان، د.ت: 16).

وهذا يعني أن إدراك الحرية في العصر الهومري كان يتجلى بالعيش مع الجماعة أي أن وجود الأنسان بين أفراد قبيلته وفي موطنه هو معنى الحرية بذاتها، وإن معنى العبودية الذي يقابل الحرية إنما هو على الأشخاص اللذين انفردوا وابتعدوا عن قبائلهم ومناطقهم ومجتمعاتهم وهذا بحد ذاته يفسر التداخل بين الأرتباط القبلي والمعنى التحرري للفرد اليوناني.

إنّ الأثر الفلسفي الذي استمده الفلاسفة اليونان من اشعار هوميروس كان يدور على فكرة القضاء والقدر، وفكرة الضرورة، وقد أخذ بهاتين الفكرتين فلاسفة اليونان في تفسير الكثير من الظواهر الطبيعية والأعمال الأنسانية، وبالرغم من سيطرة فكرة القضاء والقدر أو الجبر على أقاصيص هوميروس عن الأبطال إلّا أن الأنسان مع ذلك يستطيع أن يفكر لنفسه وأن يختار طريقه في السلوك، وأن يصنع حياته على حسب ما يهوى(الأهواني، 1954: 25).

إنَّ أكثر الأفكار تصوراً لملامح الحرية هو ما سجلته الأوديسة من أحداث وقصص أسطورية ومغامرات ومتاعب حلت على بطلها (أوديسيوس) وأفراد عائلته فالغياب والتأخر الذي كان خارجا عن إرادته سببت الكثير من الضغوطات النفسية التي كانت تعيشها أفراد عائلته، وهذه الضغوطات كانت قائمة على معتقد سائد يقضي بالزواج الأجباري لأمرأة (أوديسيوس) التي سُلبت أرادتها وحريتها برفض الزواج، أو منعه بل وحتى التصريح بعدم قبوله، فالأفراد الذين أرآدوا الأقتران من تلك الزوجة الوفية، حاولوا وبشتى السبل فرض الزواج عليها(هوميروس، 2013: 22).

فالزواج الذي كان المراد منه الحصول على الثروة والسلطة التي كانت لأوديسيوس، هو زواج قائم على إنتهاك حرية المرأة وعدم السماح لها بالرفض أو الممانعة من الأزواج الذين جاؤوا من الأراضي المجاورة وكانت تلك المرأة المنتظرة الوفية لزوجها الشجاع تعمل بكل السبل لتأخير الزواج باقصى ما لديها من قوة على أمل عودة ذلك الرجل الشجاع. وقد استطاعت تلك الزوجة أن تقنع الخطّاب بأنها تريد أن تحيك قميصا لوالدها المشارف على الموت قبل زواجها ليكون له كفنا حتى لا تشمت بها نساء المدينة من أنَّ والدها الثري إذا مات لم يكن عنده ذلك الكفن، ثم أكتشف الخطاب أنَّ تلك المرأة كانت تحيك القميص بالنهار، وتنفظه بالليل(هوميروس، 2013: 24-25).

فالصّورة السابقة تبين وبشكل واضح إنعدام الحرية الشخصية في زمن أبطال الأوديسة، فالفرد إمّا أنَّ يكون عبداً لغيرهِ، أو عبداً للآلهة منصاعا لما تأتيه من أوامر ونواهي، وحرية المرأة كانت لها السهم الأكبر في تهديمها والتغاضي عنها حتى وإن كانت من أشراف اليونانيين كحال زوجة أوديسيوس، لكن هناك ثمة أمر تصوره الأوديسة في تسلسل أحداثها وهي صورة مقاومة الدكتاتورية وسلب الحرية والعمل على مجاهدة النفس والصبر على كل الآلآم لنيل ماتيسر من تلك الحرية المسلوبة حيث تظهر شخصية مينرفا إبنة الاله الأكبر زيوس التي يصف الراوي عينيها بالزبرجديتين بعد أن سمعت كلام سيدها وإيدته بشأن ما حصل لأوديسون العبد الصالح(هوميروس، 2013: 14) على حد تعبيرها التي التمست من الآله الأكبر مساعدته ومحاولة الوقوف إلى جانبه لأنه "ضحى الأضحيات باسمك، وقدم القرابين من أجلك وحارب أعداءك وجاهد شانئيك"(هوميروس، 2013: 14).

إنّ مينرفا التي لُـقبت بربة الحكمة(هوميروس، 2013: 17). من الممكن أن تـلقب بربة الحرية لأن لهذه الشخصية الأثر الواضح في شحذ همة تليماخوس أبن أوديسيوس وتقديم النصح والإرشاد له لأخذ الحرية المستحقه له ولأمه وأسترجاع الحق المسلوب من قبل الطامعين بثروة وزوجة أوديسيوس فكان خطابها بعد أن لمحت ذلك اليأس والإنكسار في روح تليماخوس بعد أن أخبرته بوجود الأمل بعودة ذلك المقاتل الشجاع

وحين سألته عن سبب تواجد الخاطبين الذين قالت عنهم: "إني لأقلب ناظري في القوم فلا أرى شريفا ذا حسب يستحق أن يحتفى به أو يقام له وزنا"(هوميروس، 2013: 17).

وقد أجابها ذلك الفتى تليماخوس: "أيتها العزيزة.. لقد هاجرت الفضيلة من هنا في أثر المهاجر العظيم وكأنها آلت ألا تعود إلا معه... واأبتاه لقد أطمع العاديات فينا بطول نأيه فيا للنوى.... ولو سقط تحت أسوار اليوم لأجتمع الإغريق من كل حدب ها هنا.... تباركت يا الهة الأولمب ماذا عندك من الأقضية المخبوءة لي ؟ الذئاب ! إي ياآلهة هذه الذئاب وحوش البرية التي اجتمعت من كل فج"(هوميروس، 2013: 17-18).

إن تلك الحسرات التي سمعتها منيرفا ربة الحكمة كان لها الأثر في التفكير بشحذ همة ذلك الشاب وإعطائه فرصة الأمل السانحة التي قد تمكنه من عبق الدكتاتورية وترجع اليه ارادته وحريته التي يحاول الخطاب سلبها والاستحواذ عليها؛ لذلك فإنها وجهت له الخطاب وطلبت منه أن يبحث عن أوديسيوس الشجاع وأشعال روح الأمل بوجوده والعثور عليه لأن غيابة وطول انتظاره لايزيد من الأمور الأ الأنكسار واليأس وتسلط من ليس له حق على رقابهم وإرادتهم وهم الخطاب المجرمون على حد قول تليماخوس الذين شرعوا يلتهمون ما لذَّ وطاب من أكل وشراب(هوميروس، 2013: 16).

فقد كان وجود ربة الحكمة يمثل إنعطافة مهمة في حقبة أبطال الأوديسة كونها كانت تحث على التصبر والمجاهدة وعدم الإنكسار ووجوب الوقوف بوجه الدكتاتورية التي لاتعرف إلا أخذ كل ما تريده فهم الفساق الأوشاب العرابيد الذين يريدوا أن يأخذوا غصبا يد الزوجة الوفية.. الأم المكلومة.. بنلوب(هوميروس، 2013: 18) ومن هنا بدأ خطاب منيرفا بعد أن أنثال حنانها على الفتى المحزون فقالت له "ويح لك أيها الفتى ! رحمتا لك يا بني الصغير ! أوآه ! لو أن أباك هنا اليوم ليذود أولئك المناكيد !... تليماك ياابن أعز الناس علي إصغ إلي واحفظ ما أقول: إنك لست طفلا بعد فلم لا تشمر عن ساعد الجد وتبحث بنفسك في أمر أمك ؟ ولم لا تصرفهم عن هذه الدار إلى بيت جدك ليطلبوا إليه يد ابنته إن شاءوا ؟.... لم يربضون هنا كسباع الفلاة يوهنون ثروتك ويأكلون مالك ويذهبون بالأخضر واليابس مما ترك أبوك؟(هوميروس، 2013: 19).

كان لهذا التشجيع ورفع الهمة الأثر البالغ في نفس الشاب تليماخوس حتى يسترد حريته ممن أراد سلبها والتحكم به وبأفراد عائلته كعبد بين إيديهم وهذا يمثل أنطلاقة لفكرة المقاومة لأجل الحرية والوقوف بحزم أمام محاولات التسلط وكسر الأرادة وفرض العبودية بالقوة وقد كان من بين ما استثمره المتسلطون هي فكرة خدمة الوطن، أو أرضاء الرب وهما من واجبات الفرد في تلك الشعوب، ومن هنا كان التضييق على حريته، والحد من نشاطه وحركته، بقيود صيغت أوامر ونواهي تملي عليه ليذعن لطاعتهم راضيا كان أم

كارها(الطويل، د.ت: 53). وهذان الجانبان (خدمة الوطن، وأرضاء الالهة) كانتا محور الصراع في أعمال هوميروس. ومن هنا بدأ كل فرد ممن له نفوذ وتسنح له الفرصة أن يرى خدمة الوطن والآلهة بمثل ما يحقق له أهدافه ويستخدمها كذريعة لفرض سلطته على من يجده أضعف منه.و في الزمن الذي سجله هوميروس لم يكن يحسب فيه للفرد اليوناني أي حساب حيث سجلت الأليادة أن أبداء الآراء وإصدار الأحكام في أجتماعات (الأجورا) كان مقصورا على الملك ورؤساء العشائر، وقد سجلت الملاحم اليونانية فرقا ظاهراً بين كبار ملاك الاراضي وبين جمهور صغار الملاك، فلم يكن هناك وقتئذٍ حرية حقيقية إلا لأصحاب الثراء(أمين، 1953: 109) ومن المؤكد أن تلك القرارات الناتجة من إجتماع كبار اصحاب الأملاك إنما تكون لمراعاة مصالحهم على حساب مصالح الآخرين الذين لآ يُهتم لرأيهم ولا حتى لمصالحهم.

الخاتمة :

مما تقدم يتضح يتبين أنّ مفهومي الدّين والحرّية عند هوميروس لم يكونا واضحي المعالم في بل تجسدت هذه المفاهيم ببعض الصور والاحداث التي سجلها هوميروس في أشعاره حيث تمثّل الدّين بالآلهة وتنوعها وطبيعتها وإيمان الناس بها وهي مأخوذة مِن تصورات خيالية كانت تعيش في أذهان المجتمع آن ذاك . أمّا الحرية فهي تظهر مِن علاقة الفرد بالقبيلة أو المجتمع أو الوطن الذي كان ينتمي إليه وإنّ تواجد الإنسان بين ابناء قبيلته هي الحرّية نفسها التي قد تُسلب إذ ما قرر تركها، فقد جمع هوميروس بين قوة الإنسان اثناء وجوده بين ابناء جلدته وبين الحرية، كذلك جمع بين ذلة الانسان وسلب حريته وبين تفرده وابتعاده عن ابناء القبيلة .

المصادر والمراجع:

- الأثرم، رجب عبد الحميد، دراسات في تاريخ الاغريق وعلاقته بالوطن العربي، منشورات جامعة قار يونس، ط1، بنغازي 1996.
- أحمد فؤاد الأهواني، فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط، (محاضرات القاها عام 1953– 1954)، دار أحياء الكتب العلمية، مطبعة عيسى البابلي، ط 1، عام 1954.
- باري بي باول، هوميروس، ترجمة محمد حامد درويش، مراجعة: شيماء طه الزيدي مؤسسة هنداوي، ط 1، 2019.

- توفيق الطويل، قصة النزاع بين الدين والفلسفة، السلسلة الفلسفية والاجتماعية، منشورات: مكتبة الأداب بمصر.
- حامد حمزة الدليمي، الحوار العقلي في الفلسفة اليونانية،دار تموز للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1،دمشق 2019.
- حسام الآلوسي، الفلسفة اليونانية قبل أرسطو، منشورات ضفاف، ط 1، 2017.
- رجب عبد الحميد الأثرم، دراسات في تأريخ الأغريق وعلاقته بالوطن العربي.
- عبد الرحمن بدوي ، موسوعة الفلسفة ، المؤسسة العربية للدراسة والنشر ، ج1 ، ط1 ، 1984.
- عثمان أمين، محاولات فلسفية، ملتزم الطبع والنشر مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1953م.
- ف. س. نرسيسيان، الفكر السياسي في اليونان القديمة، ، ترجمة حنا عبود.
- محمد الخطيب، الفكر الأغريقي، منشورات دار علاء الخطيب، ط1، دمشق 1999.
- محمد صقر خفاجة، تاريخ الأدب اليوناني (الألف كتاب) تسلسل (61)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة 1956.
- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي الفلسفة اليونانية من طاليس إلى أفلاطون، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط2 سنة 2014.
- محمد كامل عيّاد، تاريخ اليونان، ج1، دار الفكر، ط3، 1980، ص 108 – 109
- موريس كروزية، تاريخ الحضارات العام، المجلد الأول، ترجمة: فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات ،بيروت، 1964.
- هنري فرانكفورت ، ما قبل الفلسفة، ترجمة جبرا إبراهيم جبرا ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت 1980.
- هوميروس، الالياذة، ترجمة أحمد عثمان، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، (القاهرة، 2004.

- هوميروس، الالياذة، ترجمة سليمان البستاني، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2011.
- هوميروس، الأوديسة، ترجمة دريني خشبة، طبعة دار التنوير الأولى، بيروت – القاهرة – تونس، 2013.
- الوالي، عبد الجليل كاظم، الفلسفة اليونانية، دار الوراق للنشر والتوزيع، ط 1، سنة 2009.
- ول ديورانت، قصة الحضارة، تقديم: محي الدين صابر، ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، دار الجيل، ج6، بيروت1988.

References:

• Al-Athram, Ragab Abdel-Hamid, Studies in the History of the Greeks and its Relationship to the Arab World, Qar Younis University Publications, 1st edition, Benghazi 1996.

• Ahmed Fouad Al-Ahwany, The Dawn of Greek Philosophy Before Socrates, (lectures he gave in 1953-1954), Dar Revival of Scientific Books, Issa Al-Babili Press, 1st Edition, 1954.

• Barry P. Powell, Homer, translated by Muhammad Hamed Darwish, review: Shaima Taha Al-Zaidi, Hindawi Foundation, 1st edition, 2019.

• Tawfiq Al-Taweel, The Story of the Conflict between Religion and Philosophy, The Philosophical and Social Series, Publications: Library of Arts in Egypt.

• Hamid Hamza Al-Dulaimi, Mental Dialogue in Greek Philosophy, Tammuz House for Printing, Publishing and Distribution, 1st edition, Damascus 2019.

• Hussam Al-Alusi, Greek Philosophy Before Aristotle, Difaf Publications, 1st edition, 2017.

• Ragab Abd al-Hamid al-Athram, Studies in the History of the Greeks and its Relationship to the Arab World.

• Abd al-Rahman Badawi, Encyclopedia of Philosophy, The Arab Foundation for Study and Publishing, Part 1, Edition 1, 1984.

• Othman Amin, Philosophical Attempts, committed to printing and publishing, Anglo Egyptian Bookshop, Cairo 1953 AD.

• F. s. Narsesian, Political Thought in Ancient Greece, translated by Hanna Abboud.

• Muhammad Al-Khatib, The Greek Thought, Alaa Al-Khatib Publishing House, 1st Edition, Damascus 1999.
• Muhammad Saqr Khafajah, History of Greek Literature (A Thousand Books), Series (61), Al-Nahda Egyptian Bookshop, Cairo 1956.
• Muhammad Ali Abu Rayan, History of Philosophical Thought, Greek Philosophy from Thales to Plato, Dar Al-Wafa'a for the world of printing and publishing, 2nd edition in 2014.
• Muhammad Kamel Ayyad, History of Greece, Part 1, Dar Al-Fikr, 3rd edition, 1980, pp. 108-109
• Maurice Crouzia, The General History of Civilizations, Volume One, translated by: Farid Dagher and Fouad Abu Rayhan, Oweidat Publications, Beirut, 1964.
• Henry Frankfurt, Pre-Philosophy, translated by Jabra Ibrahim Jabra, Arab Foundation for Studies and Publishing, Beirut 1980.
• Homer, The Iliad, translated by Ahmed Othman, The Supreme Council of Culture, 1st Edition, (Cairo, 2004.
• Homer, The Iliad, translated by Suleiman Al-Bustani, Arabic Words for Translation and Publishing, Cairo, 2011.
• Homer, The Odyssey, translated by Drini Khashaba, first edition of Dar Al Tanweer, Beirut - Cairo - Tunisia, 2013.
• Al-Wali, Abdel-Jalil Kazem, Greek Philosophy, Dar Al-Warraq for Publishing and Distribution, 1st edition, in 2009.
• Will Durant, The Story of Civilization, presented by: Mohieddin Saber, translated by Dr. Zaki Naguib Mahmoud, Arab Organization for Education, Culture and Science, Dar Al-Jeel, Part 6, Beirut 1988.